

وفى تفسيره الاقتصادي يبدأ من العرب والتجارة ، إلى الطرق التجارية والأسواق ، إلى الصراع الاقتصادي فى المدن والبادية ، وصولاً إلى ،تبعاه حول أصداء هذا الواقع فى حركة الصعاليك .

ثم يوظف الباب الثانى حول شعر الصعاليك فيبدأ بديوانهم من خلال تحديد مصادره ومادته ، ثم يعمد إلى تصنيف موضوعاتهم الشعرية التى بدت جديدة ومغايرة للموضوعات التقليدية لدى شعراء القبائل ، فيطرحها من منظور دائرة الصعلكة عبر أحاديث المغامرات وشعر المراقب ، والنوعد والتهديد ، ووصف الأسلحة ، والحديث عن الرفاق ، وأحاديث الفرار وسرعة العدو ، والغزوات على الخيل ، وطرح الآراء الاجتماعية والاقتصادية ، وأحاديث التشرذم . وفى خارج دائرة الصعلكة تستوقفه ظاهرتان : أولاهما بقايا رواسب القبلية فى شعرهم ، ثم المجموعة الإسلامية فى شعرهم .

ومن الطرح الموضوعي إلى الفنى يتعقب الباحث شعر الطائفة فى درس نقدى واع وامتأن ينتهى منه إلى نتائج محددة اتسم بها شعرهم بدءاً من المقطوعات إلى توافر الوحدة الموضوعية ، إلى التخلص من المقدمات الطلية ، وعدم الحرص على التصريح ، إلى التحلل من الشخصية القبلية ، إلى القصصية والواقعية ، إلى السرعة الفنية ، إلى تأمل الصنعة المتأنية التى يعقبها درس الخصائص اللغوية والظواهر العروضية .

ولا يكاد الباحث يختتم دراسته حتى يتوقف تطبيقاً عن شخصيتين متميزتين من خلال عروة والشنفرى باعتبار دورهما الفعال فى عالم الصعلكة وما بينهما من تشابه وتميز .

فعلى مستوى توزيع المنهج بهذه الصورة . يحق لنا أن نتساءل : هل بقى شىء فى عالم الصعاليك لم تتوقف عنده الدراسة ؟ فإن وجد فما هو إذن ؟ وإن لم يوجد فما أحسبنا إلا واقفين عند تأمل طبيعة انطلاقة الباحث من رؤيته لجوهر البنى الأساسية التى وجهت الشعر لديهم كموقف فنى من جانب آخر .